مجلة المختار للعلوم الإنسانية 27 (1): 551-571، 2014

Research Article

Open Access

وحدة الشهود وأفق التوحيد في الحب الصوفي، ابن عربي نموذجا

آمال عامر[1]*

Doi: https://doi.org/10.54172/aaydjs17

المستخلص: يقدم هذا البحث مفهوماً للحب في معناه الصوفي، وفي بعده الروحي، ليكشف عن حالة من التحرر للنفس من عبودية الأنانية والشهوات، فيتحقق لها السمو والإرتقاء. وقد توخى الباحث تقديم هذه القراءة "للحب الصوفي"، من خلال السياق الصوفي، وفي إطار التجربة الصوفية، بما تنطوي عليه من روحانية، ليصل إلى المعاني الحقيقية لهذا اللون من الحب، الذي تجلت فيه إرادة السمو والإرتقاء لتلك الروح المتطلعة إلى مواطن القرب عبر مقامات حب التعظيم والإجلال لله تعالى.

الكلمات المفتاحية: التصوف، الحب، الروحانية، التعبد

The unity of witnesses and the horizon of monotheism in Sufi love: Ibn Arabi as a Model

Amal Amer

Abstract: This research presents a concept of love in its Sufi sense and spiritual dimension, aiming to unveil a state of liberation for the soul from the bondage of selfishness and desires, allowing it to attain elevation and spiritual ascent. The researcher seeks to offer this interpretation of "Sufi love" within the Sufi context and the framework of the Sufi experience, with its inherent spirituality. This approach leads to the genuine meanings of this type of love, wherein the will for elevation and ascent is manifested in the aspirations of the soul, seeking proximity to God through the stations of adoration and reverence.

Keywords: Sufism, love, spirituality, devotion

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

مقدمة:-

أسس الصوفية رؤيتهم للتوحيد من خلال تجربتهم الصوفية الذوقية،وتطلعوا إلى توحيد ينطوي على خصوصية تعكس تجربتهم الروحية وله ثمرته الخاصة ؛ومن هنا قسموا التوحيد إلى:توحيد عامة وتوحيد خاصة ،ذلك لأن الخاصة لايقفون عند حدود مايقف عنده العامة،فكانت ثمرة توحيد الخاصة"الصوفية" هي فقد الإنسان لنفسه كدرجة من درجات الفناء؛لأنهم يستشعرون أنهم في معية الله تعالى"كمحبوب".

فتوحيد الصوفية قائم على التنزيه والتجريد لكنهم أضافوا إليه مفهوما للتوحيد له طابعه الذوقي فهو توحيد ناتج عن إدراك لما يتجلى في قلب الصوفي المحب في حال استغراقه وفنائه عن كل ماسوىالحق؛تجلى فيه شعور غامرٌ بالإرادة الإلهية النافذة في كل شئ.والقدرة والفعل الإلهي المتجلي أثره في الوجود.

فكان توحيد الصوفية هو توحيد المعرفة القلبية والشهود أو "توحيد القلب"،وأعطى الصوفية من خلال تجربتهم في"الحب الصوفي" مضمونا روحيا للتوحيد عكس رؤيتهم حيث لم يروا ويشهدوا قلبيا إلا حقيقة وجودية واحدة؛وإن ظهر الوجود متعددا لحواسنا من خلال الموجودات الخارجية؛غير أنه يظلُ حقيقة واحدة في جوهره.

ويشيرالخراز إلى معنى التوحيد الشهوديأو"عين التوحيد" كما يسميه الصوفية بأنه.أول مقام لمن وجد التوحيد،فتحقق فناء ذكرالأشياء عن قلبه وانفراده بالله تعالى".1ومن هنا تطورالمفهوم الصوفي للتوحيد القائم على التنزيه لله تعالى في"لاإله إلا الله"فعكست حال التوحيد الشهودي القلبي "لافاعلولامريد على الحقيقة إلا الله" وبالتالي" لامشهود على الحقيقةإلاالله".ومع تجربة ابن عربي التي تمثل فيها مضمون النفي من"شهود السوي" إلى النفي" لوجود السوي" فعكست رؤيته في وحدة الوجود وأنه "لاموجود على الحقيقة إلا الله" .

وكان هذا التطور لمفهوم التوحيد كثمرة للحب الصوفي في تجربة الصوفية الذوقية المفعمة بمعاني الإرتقاءالروحي،والتسامي للوجود الإنساني المحدود إلى أفق الوجود المطلق اللامحدود.

الحب:لغةً و اصطلاحا:-

تتعدد دلالات مفردة الحب بحسب الإستعمال فهي من:

-حباب الماء التي تطفو كفقاقيع وكأنها الموج.
-ومن:"الحب" بالكسروهي الخابية أوجرة الماء.
-ومن:أحبَالبعير،إذا بركَ أو أشرف على الموت.
-ومن:أحبَالزرع،أي صار ذا حب،ومفرده:حبة.
-ومن:الحَباب أي الندى.
-ومن:التحبب:أول الري بعد العطش.
-ومن:حَبةالقلب:سويداؤه ووسطه.2
وبالنظرإلى كل الدلالات التي تحملها هذه المفردة يتضحُ تضمنها لمعاني الجمال.ويعرفُ الغزالي الحُب بأنه:ميل الطبع إلى الشئالمُلذ،فإن قوي ذلك الميل وتأكدَ سُمي عشقاً.3

<u>الحُب في الخطاب القرآني:-</u>

يُقدمُ القرآن الكريم مفهوماً للحُب متميزا في عمقه وفي بعده الروحاني،متجاوزاً المفاهيم الفكرية في ثقافة ذلك العصر؛ليُرسخ لمفهوم جديد للحب ينطوي على معاني التوحيد وعُمق الروحانية،ليرتقي بالإنسان عبر أفق لامتناه من العطاءات الرحمانية؛ويجعل من هذا اللون من "الحب" الأعلى والأكمل.

فحب المادة والشهوات يأتي في مرتبة دُنيا في الخطاب القرآني:"كلا بل تحبون العاجلة وتَذرون الآخرةا القيامة20-21 "، "زُين للناس حبُ الشهوات من النساء والبنين والقناطيرالمقنطرة من الذهب والفضة والخيل المُسومة والأنعام والحرث ذلك متاعُ الدنيا والله عنده حسن المآب\آل عمران14 ".

وحب القوة والنصر كامنٌ في فطرة الإنسان كما يشير الخطاب القرآني البليغ"وأُخُرى تحبونها نصرٌ من الله وفتحٌ قريبٌ وبشرالمؤمنين\الصف13 "، وكذلك الأنانية وحب المال"وتأكلون التراث أكلا لما وتحبونَ المال حُباً جما\\الفجر19-20 ".

فيكشفُ لنا القرآنُ طبيعةَ النفس البشرية وكوامن الضعف فيها،ويُشيرإلى هذا اللون من الحب المادي المتعلق بالشهوات في سياق إدانته لحالة الاستعباد والعبودية؛حين يسمح الإنسانُ لذلك الضعف بداخله تجاه المادة أن يسيطرَ عليه،فتستعبدهُ الشهوات وتتدنى به إلى مراتبلاتتفقُ مع مايريده له الخالق أن يكون من سمو وارتقاء.

ولأن القرآن لايطالبُ الإنسان بقمع هذه الميول فهو يذكرها كجزء من الطبيعة الإنسانية؛وإنما يدينُ تلك السيطرة للميول والشهوات على الإنسان حتى تستعبده.فالخطاب القرآني ينتقدُ تفضيل هذا اللون من الحب المادي على من هو أجدر وأحق بالحب،ويراهانحرافاًعن الطريق الحقيقي للحب؛فيستنكره في غير إنكار للطبيعة الكامنة في أعماق النفس الإنسانية في الآية:"قُل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبُ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين\التوبة24 "

وكأن القرآن يشير إلى حقيقة أن الحُبين لايلتقيان بنفس الدرجة في قلب المؤمن؛ويؤكد على حقيقة"والذين آمنوا أشدُ حباً لله\البقرة165 "،لأن حبه تعالى هو الأسمى والأعلى ولذلك فهو الدافع للعمل والسمو والإرتقاء سلوكياً وروحياً وخُلقياً؛مصداقاً لقوله تعالى"قُل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم\آل عمران31 " فمصداقية الحب مرآتها العمل والإخلاص في الطاعة.

والقرآن الكريم يؤكد على حب الله تعالى لعباده؛وبالتالي فالحب متبادل بين الله وعباده"يحبهم ويحبونه\المائدة54 " ليرتقي بالإنسان إلى أسمى مراتب الروحانية،وأرحب الآفاق في معاني الحب والعاطفة؛وليرسخ لمعاني النبل والسمو في العلاقات العاطفية للإنسان،ويرتقي بالحب إلى مايؤدي للنفع والخير على المستوى الفردي والإجتماعي،ويسمو بالإنسان إلى مراتب سامية في علاقته مع خالقه؛فتُبنى علاقته معه على الحب بدلاً من الخوف.

<u>الحب في المفهوم الصوفي:-</u>

ظل الحب في التُراث الإسلامي لزمن طويل مقتصراً على الرؤية الغزلية المتعلقة بالمرأة،وعلى الرغم من حضور عاطفة الحب العذري في"الأدب الجاهلي" الذي تجلت فيه معاني العفة والفضيلة والميل إلى الجمال؛وكثيراماإقترن بالحنين والبكاء والهجروالوقوف على الأطلال.

إلا أن الحب ظل مفتقراً إلى معان تسمو به إلى آفاق عُليا،فكان من الطبيعي أن يكون للإسلام أثره في تجديد مفهوم الحب؛بما يؤدي إلى تعميق هذه العاطفة والسمو بالإنسان بل وتجاوز المفاهيم السائدة،وفتح آفاق لعاطفة الإنسان تحقق إرتقاءه الروحاني من خلال "الحب الصوفي" الذي ظهر في بداية مرحلة التصوف، حيث انتقل من طور الخوف الممتزج بالحزن إلى طورأصبحت فيه العلاقة مع

الله في مرحلة الحب في منتصف القرن الثاني الهجري؛حين أطلق ابراهيم بن أدهم"ت162 هـ" على المتصوفة "المحبين"أو"أهل المحبة".4

وإن كانت نغمة الحب الصوفي قد ظهرت بشكل واضح وجلي مع رابعة العدوية"185 م" فكانت رائدة الحب الصوفي؛الذي تجلى في نصوصها المفعمة بالعاطفة والروحانية،وصلتإلى درجة استغراق الوجدان في هذه العاطفة حتى قالت:-"حُبي الله قد ملأ قلبي إلى حد لم يجعل ثمةَ مكاناً لمحبة غيره أو كراهيته."5

وقراءة الحب الصوفي في تجربة رابعة خارج السياق الصوفي قد أفضت إلى قراءات اتسمت بالحسية والإتهامية؛بعيدة عن طبيعة التصوف وأفقه ووصلت إلى تفسيرات أطلت على التجربة الروحانية من جانب مادي طبقي؛أو حسي غريزي ارتبط بحرمان حين اعتبروا أن وراء الحب الإلهي لرابعة.تكمن شخصية مأساوية لعب فيها الفقر والحب المسحوق دورهما في نسج عاطفة الحب الإلهي،كتعويض عن الحرمان المادي.6

وماهذا الخطاب الوجداني المفعم بعمق العاطفة وشفافية الروحانية في قولها:-

أُحبكَ حُبين حب الهوى \ وحبا لأنك أهلٌ لذاكَ

فأما الذي هو حب الهوى \ فشغلي بذكرك عمن سواكَ

وأما الذي أنتَ أهلٌ له \ فكشفُكَ للحُجب حتى أراكَ

فلا الحمدُ في ذا ولا ذاك لي \ ولكن لك الحمدُ في ذا وذاكَ7

إلا انعكاساً لتجربة تتجلى فيها إرادة السمووالإرتقاء لهذه الروح المنجذبة بمقتضى طبيعتها إلى الحضورالإلهي والمتطلعة إلى مواطن القُرب.حيث عبّرت تجربة رابعة عن حب تنزّه عن كل غرض،وتجرد عن حظوظ النفس،لأنه حب خالص لله ذاته ،حب التعظيم والإجلال،لأنه حب خالص لله ذاته ،حب التعظيم والإجلال،لم يرتبط بطمع في ثواب ولا جزاء،لأنه تخطى مقام الطلبليستقرفي مقام الشوق والحب المنفتح على أفق اللامتناهي للخالق المحبوب الذي تجاوزت رابعة بعاطفتها له كل معاني الخوف الذي كان يحكم العلاقة مع الله .فأسست رابعة العدوية من خلال تجربتها لخطاب الحب المترفع عن الطمع في الثواب،أو الخوف من العقاب،والذي كان باعثه الحب المنبثق عن التوحيد الذوقي.

الفناء ثمرة التوحيد الصوفي"الذوقي":-

إن هذه العاطفة المتدفقة من خلال هذا اللون من الحب كانت بدايةً لطور جديد في الوعي الديني،أسست لتجربة عميقة في بعدها الروحاني،وتركت تراثاً معرفياً روحياً اتسم بخصوصيته التي ميزته عن غيره من التيارات الفكرية الأخرى.؛خاصة مع القرنين الثالث والرابع الهجريين حيث بدأ التصوف يشكل حضوراً دينياً وثقافياً برزت فيه عاطفة الحب الصوفي لدى المحاسبي والخرازوالجنيد والبسطامي والحلاج والشبلي.

فكانت تجربتهم الروحية في جوهرها بدايات تمثلت في"المقامات" التي تفضي إلى"الأحوال وتنتهي إلى"فناء شهودي" يفضي إلى المشاهدة القلبية أو المعرفة الذوقية،ولأنها تجربة معاناة وطريق وسلوك ومعرفة كان لابد لها أن تكون حركة جهاد ومجاهدة من أجل الإرتقاء،باعثها الحب في سموه وروحانيته.

حيث تجلى في هذا الحب من خلال طريق روحي متطور تصاعدي،عكس توق الصوفي إلى المطلق واللانهائي؛وكان فيه الفناء في الحب أفقاً مفتوحاً للذات الإنسانية في معراجها الروحي،وهوفي جوهره فناءٌ في التوحيد"توحيد القلب والشهود" ،يسميه الجنيد بتوحيد الخاصة وهو:معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج العلوم ويكون الله كما لم يزل.8

إن محورالتوجه إلى الله تعالىهو"توحيدخالص"وجوهر التوحيد حبٌ خالص؛ بتصفية القلب من الأنانية والمشاغل حتى يتحقق بالمعرفة بالله،ليصل من خلال هذا التسليم المطلق للإرادة الإلهية إلى فناء إرادته في إرادة المحبوب.بفنائه عن هوى نفسه وحظوظها بمُراد خالقه وحقوقه.9 ومن خلال هذا الإذعان والتسليم المطلق ينكشف شمول القدرة والإرادة الإلهية للمحب،وتغيب عن شهوده الآثار الكونية،وتتوارى إرادته في إرادة الحق ليبقى بتوحيده له سبحانه.

فالفناء الصوفي والحب الصوفي وجهان لحقيقة واحدة،لأن الصوفي في حال فنائه مستغرق في حب الله؛يكرسمجاهداته لأجل هذا الحب في حياته القائمة بهذا الحب؛الذي نجده يتطورفي اللحظة الصوفية عند البسطامي والشبلي والحلاج وابن عربي فيما بعد إلى حال للصوفي تغلب عليه،فيعبرعن.محولرسومه وفناء لهويته بهوية غيره وغيبة لآثاره بآثار غيره.10 وذلك بانجذاب العارف كلية إلى الله فلا يعود يشهد غيره،ويفنى عما سوى الله إرادةً وشهوداً،فهو في هذه الحال كما يعبرالبسطامي.أراد أن لايريد.11

ويمكن القول أنه حالٌ يعبر عن لون من ألوان التوحيد الروحي في مقابل التوحيد العقلاني التجريدي عند المتكلمين،تميز بكونه ثمرةً لإدراك وجداني ذوقي عكست غيبةً عن المحسوسات ،هي في حقيقتها غيبة شهود وشعور،حيث يتصاعد الوجد لدى العارف فلا يشعر إلا بالله،ثملايشهد سوى الله،ليصل عند ابن عربي إلى أنه لاموجود على الحقيقة إلا الله.ولهذا فهو في حال وجده يبدو مستغرقاً في فنائه فلا يحسب لزمان،ولا يستشعر حدود مكان لأنه فني عن شعوره بذاته،وغلب عليه شهوده لمحبوبه.فلا حال للعارف لأنه مُحيت رسومه،وفنيت هويته بهوية غيره.12وفي حال صحوه يستشعر معاناته ليقينه بالإثنينية واتساع المسافة مابينه وبين محبوبه.

انعكست هذه المعاناة في مناجاة تجلت فيها حرارة العاطفة ووهج الشوق وعذاب اغتراب نلمسها لدى البسطامي في قوله:-"يارب إلى كم بيني وبينك هذه الأنانية؟أسألك أن تمحو أنانيتي عني حتى تكون أنانيتي أنت فتبقى وحدك؟"13 ،وفي مناجاة ابن الفارض:-

سقتني حُميا الحب راحة مقلتي \ وكأس مُحيا من عن الحس جلت

فأوهمت صحبي أن أشرب شرابهم \ به سر سرى في انتشائي بنظرة14

وفي قوله أيضا:-

شربنا على ذكر الحبيب مُدامة \ سكرنا بها من قبل أن يُخلق الكرم15

ويلتقي ابن الفارض مع البسطامي في نفس السياق:

عجبتُ لمن يقولُ:ذكرتُ ربي \ وهل أنسى فأذكرمانسيت

شربتُ الحب كأساً بعد كأس \ فما نفذ الشراب ومارويت16

كما يلتقي مع السهروردي في ذات المعاناة:

أبداً تحنُ إليكم الأرواح \ ووصالكم ريحانها والراح

وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم\ وإلى لذيذ وصالكم ترتاح17

ففي مناجاة الوجد أو الفناء في الحب يحيلنا كلٌ من البسطامي وابن الفارض والسهروردي على دلالات مكثفة ؛تستمد معانيها من التقابلات المضادة والمنفتحة على العطش والإرتواء والخمرة

الإلهية لدى الصوفي الذي لايرتوي ظمأه مهما شرب.فرحلة الحب الصوفي يهيمن عليها عنصر الظمأ الذي يستدعي الإرتواء ودلالة الشوق اللامنتهي،ومن هنا يجسد عنصري "الظمأ والإرتواء" معاناة المحب الصوفي في رحلته الروحية.

كما يحضرعنصر"الخمرة"لارتباطها بدلالات السُكروالنشوة،وكذلك"الظمأ" الذي لايعرف ري من خمرة الحب الإلهي في رحلة الصوفي الروحية؛حيثيستشعرنشوة الفناء بغلبة نورالشهود،فيعكس خطاب المناجاة معان روحية للخمرة متجاوزة دلالاتها المادية بفعل تجربة الصوفي العرفانية،مكتسية هذه معانيها الروحية من وهج مواجيدهم وأحوالهم.

وفي لغة شاعرية تفصح عن توق إلى تجاوز الأنا الخاص،وفنائه في الله بأن يفنى عن نفسه فلا يكون ثمة إلا الله يقول ابن الفارض:-

ومابين شوق واشتياق فنيتُ في \ تولّ بحظر أو تجلّ بحضرة

ولما انقضى صحوي تقاضيتُ وصلها \ ولم يغشني في بسطها قبضٌ

وقلتي وحالي بالصبابة شاهدٌ \ ووجدي بها ماحي والفقد مثبتي18

وفي ذات السياق يقول السهروردي:-

حضروا وقد غابت شواهد ذاتهم \ فتهتكوا لما رأوه وصاحوا

أفناهم عنهم وقد كُشفت لهم \ حُجب البقا فتلاشت الأرواح19

فهنا تعكس الأبيات حالة عرفانية عبّرت عن علاقة الصوفي المحب بالله في ضؤ مشاهداته ومعاناته الوجدانية التي تعكس توتراً في عمق الذات،وتوق وقلق وشوق للتحقق بالقرب،في لغة مكثفة بحرارة المعاناة ومعاني اللاوصول؛يتكئ فيها الصوفي على تنوع الضمائر خاصة ذات الصيغة الذاتية مثل المتكلم(فنيتُ،تقاضيتُ،ذكرتُ،شربتُ)،وياء الخطاب(سقتني يغشني) فيتلون الضمير عند الصوفي من الغياب إلى الحضور،ومن الإثبات إلى المحو حاملا دلالات البقاء والفناء،حين يصل في حال الفناء بغلبة الشوق للمحبوب إلى حال غلبة المشهود على الشاهد؛وشعورغامر بأنه ماثمة إلا الله،وفي هذا الشعوربانعدام شعوره بالحجب المادية وذهاب الشعور بإنيته،ينتهي إلى الإستغراق في جمال الذات الإلهية.

ومن خلال تضمن النصوص لصيغة التقرير والطلب والإثبات والنفي نجدها قد عكست ثنائية البقاء والفناء والانفصال والاتصال،وكانتكرارالضميرالذي يؤكد حضورالذات المقدسة باعتبارها مصدراً للعطف والجمال،فيبدوالصوفي المحب مفتقراً خاضعاً خضوع الحب والانقياد.

كما انطوت النصوص على الأفعال المنفتحة على الزمن الماضي(فنيت،انقضى،شربنا حضروا،...)والتي عكست دلالات الاستمرارية واستحضارماهوغائب،محمّلة بمعاني الحضوروالغياب والثنائية التي يعيشها الصوفي في تجربة الحب الصوفي بما فيها من انتشاء بالشهود وبسط وقبض،عكست سيرورة التجربة الصوفية بتفردها وخصوصيتها.

وإذا كان الحب الإلهي هو الباعث في تدرج الصوفي في سُلّم معراجه الروحي من مقامات وأحوال،فقد ارتبط الحب ارتباطاً وثيقاً بالفناء الذي يتحقق من خلاله كمال حب الصوفي لخالقه.ذلك أن الصوفي المحب يرى الوجود إرادة وقدرة مطلقة تدبركلشئ،ويتحقق له قربه الحقيقي مع الله من خلال الفناء الذي عبّرفيه الصوفية عن وحدة الشهود بفنائهم عن الصفات الذميمة،ثم بالفناء عمّا سوى الله والبقاء بالله وحده وهي لاتعني محواً للصفات البشرية؛وإنما هي حالٌ يشهد فيها الصوفي وحدة التوحيد أو وحدة الألوهية من خلال عاطفة الحب.

فهي شهود القلب لحقائق التوحيد،ومايصل إليه الصوفي من مقام روحي ليس إلا لتحقيق العبودية لخالقه،من خلال وحدة شعورية ذوقية يسميها الصوفية"وحدة الشهود" أو"عين التوحيد" وهي في حقيقتها محووإثبات.محوالهيةماسواهتعالى،وإثبات إلهيته سبحانه وحده.20

ولأن الصوفية يحاولون التعبيرعن تجربة ذات طبيعة ذاتية تصطبغ بمشاعروجدانية،لذلك اعتمدوا على لغة العاطفة والحب لتميزها بقدرتها على استيعاب المعاني بإيحاءاتها وألوانها،خاصة وأن المعاني الصوفية ذات طبيعة وجدانية إيحائية متنوعة الدلالات.ومن هنا كان اعتماد الصوفية على الشعرللتعبيرعن تجربة روحية تتجلى فيها عمق العاطفة،ومعاني الروحانية وحرارة الوجد،فجعلوا من الشعربكثافته الإيحائية مرآة معانيهم التي لايمكن إدراكها إلا بالتماهي والمجاهدة.

<u>أقسام الحب عند ابن عربي:-</u>

يعرّف ابن عربي الحب بأنه:الميل إلى مافي إدراكه لذّة.21 ويتناول ابن عربي الحب حسب درجاته:

-الحب الإلهي:هوحب العبد لله حيث يكون الحب للحق وحده،وحب الله للعبد "يحبهم ويحبونه\المائدة54 "،وغايته:أن يشهد العبدالمحب كونه مظهرالحق.22 وهوحبلايخالطهالتغيرأوالتحوّل لأنه ثابت.

-الحب الروحاني:هوالحبالنفسي،فيحب المحب محبوبه لنفسه بعيداً عن الشكل الخارجي وغايته:أنتصيرذات المحبوب عين ذات المحب،أويتشبه بالمحبوب مع القيام بحق المحبوب ومعرفة قدره.23 فالحب من أجل المحبوب يكون مع تحقق الإرادة،ولأنه حبٌ لايتعلق بالأجسام فهولايؤثرفيه الفراق لأنه حبٌ معنوي لاحسّي.

-الحب الطبيعي:وهوالحب العام الذي يكون ظاهرياً حسياً،غايته:الإتحاد في الروح الحيواني،فتكون روح كل واحد منهما روحاً لصاحبه بطريق الإلتذاذ وإثارة الشهوة.24 وهوحبٌ قابل للتحولات والتغيرات.

ويقسّم ابن عربي الحب بحسب مصادره إلى:

-محبة روحانية:ويصف ابن عربي أصحابها بأنهم:الكاملون في النفوس.25 وتستند هذه المحبة إلى تقارب الأرواح وتناسبها.فإذا تلاقوا تعارفوا وتحابوا لتجانسهم الأصلي.26
-محبة قلبية:تعود هذه المحبة إلى تناسب الأخلاق والأوصاف.ونشأتها الأعمال الصالحة كمحبة الصلحاء والأبرارفيما بينهم.27
-محبة عقلية:أصل هذه المحبة:تيسيرالمصالح الدنيوية وتسهيل أسباب المعاش،كمحبةالتجاروالصناع ومحبة المحسن إليه للمحسنين.28
ومن خلال تقسيم ابن عربي للحب في مستوياته يتضح أنه يعلي من شأن الحب الإلهي فيجعله في الدرجة الأولى والمستوى الأرفع،لأنه يمثل لونا من السمو والإرتقاء بالإنسان في درجات الروحانية والصفاء الداخلي .حين يتجه الإنسان إلى جلال الجمال المطلق الذي لايتعلق به إلا العارفين المحبين الذين رقت قلوبهم وشفت أرواحهم،فترفعوا عن ماهومتغيروزائل ،واتجهوا بأرواحهم إلى حقيقة علوية رأوا فيها معاني الرحمة والكمال والجمال ،ووجدوا في تعلقهم بها طمأنينة وأنسا.

<u>وحدة الشهود..مظهرالفناء في الحب عند ابن عربي:-</u>

إذا كانت وحدة الشهود هي الوجه الآخرلقول ابن عربي بوحدة الوجود،فذلك لأن وحدة الوجود عنده لاتنفي الثنائية بين الله تعالى والعالم،فالحق الساري في العالم هو متعال عنه،ومتصف بالأزلية

والتنزيه والقدرة.ولذلك نجد "وحدة الوجود" عند ابن عربي تزخر بتعابير:أحديةالذات،والحق عين الموجودات،وكلمافي الوجود واحد.بالإضافة إلى الأسماء التي تتركز عليها نظريته مثل:الأحد والوحدة والوحدانية وغيرها وكلها تؤدي إلى معنى واحد عند ابن عربي وهو أنه ليس هناك وجود إلا الله تعالى.فتصبح كل الأشياء التي ندركها في العالم هي صور لوجود واحد،بما فيها الأنا البشرية التي ستكون كالعالم تجل من تجلياته.فوجود الكثرة في الأسماء،وهيالنسب،وهيأمورعدمية،وليس إلا العين الذي هوالذات.29 وما هذا السريان للحق في الوجود في نظرابن عربي إلا سريان للحب،وماهذا التجلي إلا بفعل الحب .

ولذلكيمثّل الفرع والأصل في فكرابن عربي ثنائية واضحة أساسها وحدة الحب الظاهرة، فلا محبوب سوى الحق،وكل محبوب مجلى للمحبوب الأعظم .فالوارد لابد أن يكون فرعاً عن أصل،كما كانت المحبة الإلهية من نوافل العبد،وهذا أثرّبيّن مؤثرومؤثَرفيه،كما أن الحق سمع العبد وبصره وقواه عن هذه المحبة.30

فالحب نتيجة للعبادة وتأثير الحق ينشأ من حقيقة حبه للعبد.لأن محبته لك محبة الأصل لفرعه،ومحبتك له محبة الفرع لأصله.31 إن الحب بحسب ابن عربي هوأحد أسس وحدة الوجود،وليس الوجود إلا نتيجة للحب ومرآة له باعتباره باعث الموجودات من الوجود الثابت أو العدم الوجودي في علم الخلق إلى الوجود الخارجي؛الذيلايكون إلا بعد الحب من طرف الخالق،وهوماعبرعنه الحديث القدسي:"كنتُ كنزاً مخفياً فأحببتُ أن أُعرف فخلقتُ الخَلق لكي أُعرف".32

وهنا سيصبح الحب علة غائية لخلق العالم لأن الخالق يحب الظهورفي صورة الوجود لحبه أن يعرف نفسه بنفسه في صورأومراياالممكنات.وهنا تتجلى حقيقة حب الحق لذاته.ولأن المحبة لازمة للوحدة الحقيقية فبسريان الوحدة في الوجود تسري المحبة فيه.33 كما يتجلى الحب بحسب رؤية ابن عربي كباعث للوجود وأساس الوحدة فيه،وماكانت الوحدة في الوجود إلا بالحب وبهذا يتداخل الوجود والحب والوحدة ويترابط كل منهما بالآخرفي لوحة وجودية ينسج الحب ألوانها المفعمة بالتجدد والجمال،لأنها تعكس سريان الحقيقة وحضورالإرادة المطلقة عبرتجليات الحق المختلفة،فكان لابد لهذه اللوحة أن تكون لوحة التجدد المشرق بكل ألوان الجمال،والعطاء اللامحدود بكل معانيه .

الفناء في الحب عند ابن عربي..من شهود الواحد إلى وجود الواحد:-

إذا كانت وحدة الوجود أساسها أنه "لاموجود" في الحقيقة إلا الله سبحانه،فإن وحدة الشهود أساسها"لامشهود" في الحقيقة إلا الله تعالى،وذلك باعتبارها أي وحدة الشهود تجربة فردية ذوقية شعورية من الإتصال الروحي بالله،وشهوده قلبياً في كل شئ.فهوفي جوهره شهود محبة.

وأغلب نصوص الصوفية في الحب الصوفي تتجلى فيها هذه الحقيقة الروحية التي عبّرفيها الصوفي في حالات وجده عن حقيقة أنه لايدركولايشاهد في الوجود إلا الحق،لأنه وحده من يتجه إليه الصوفي المحب بقلبه وروحه فلا يشاهد سواه.فمن شهد الحق لم يرالخَلق.34فقد عبّرالصوفية عن وحدة الشهود ذوقاً وليس برهاناً عكست تجربتهم الروحية التي حاولوا التعبيرعنها،من خلال ماتركوه من تراث شعري ونثري زخر بالمعاني الروحانية في معراج الحب الصوفي.

ووحدة الوجود عند ابن عربي ناشئة عن وحدة الشهود،فقد كانت تطوراً من نفي شهود السوي إلى نفي وجود السوي.نابع من الشعوربأنه لاوجود حقيقي إلا لله مع تنزيهه تعالى عن الإتحادوالحلول،فهي وحدة روحية ترتبط بالحب عبرالوجود الذي هونتيجةللحب.فوحدة الشهود هي ثمرة الفناء في الحب حيث لايشهد المحب إلا الله فيكون في رتبة الفناء عن شهود السوي.ويعرّف ابن عربي الفناء بأنه:عدم رؤية العبد لفعله بقيام الله بذلك.35

وبالتالي يظل الحب أساساً في عملية الخَلق،وحركةً وجودية تحكم العلاقة بين الخالق والوجود،وبين الموجودات بعضها ببعض باعثها الحب.وبقدرمايرتقي الصوفي في لحظات سموّه فتكون محبته متعلقة بالحق بقدرمايتحقق بمواطن القُرب"فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به.."ويسموإلى مرتبة الفناء في معراجه الروحي،وقدعبّرالقشيري عن هذا الحال بقوله:-"إن العبد إذا تخلّق ثم تحقّق اضمحلت ذاته،وذهبتصفاته،وتخلّص من السوي،عندئذ تلوح له بروق الحق بالحق ويرى أنّ الله عين كلّ شئولاشئ سواهُ."36 ويمكن القول أنّ وحدة الشهود ووحدة الوجود هما وجهان لحالة الفناء في الحب،وثمرة له يتجلى فيها التنزيه للحق والتوحيد له تعالى توحيداً ذوقياً.

فمن نفي شهود السوي"في حال الفناء" إلى نفي وجود السوي في وجود تجلّت فيه إرادة الواحد،فكان هذا الوجود من آثارحب الواحد ليُعرَف ويُحب ويوّحَد.إن تجربة الفناء تعكس علاقة محبة بين المخلوق والخالق تنطوي على معاني الخضوع والتسليم المطلق لله تعالى،ومن هنا يتحقق الفناء

بالإستغراق وعندما يكون الحق محبوبه فهو يفنى في حبه.فإذاتعلق بالله وكان الله محبوبه،فيفنى في حبه للحق أشدّ من فنائه في حب أشكاله،وإذا كان الحق هو المحبوب فهودائم المشاهدة.37

ويشير ابن عربي إلى أنه عندما يكون الحق هو المحبوب فيفنى المحب عن كل شئ،ويبقى به وحده فيكون فناؤه في حقيقته هو فناء عن الذات؛وبقاءٌ بالحق في مقام الفناء حيث ينكشف له شمول قدرته تعالى وإرادته وفعله،فتضمحلّ الرسوم المادية في شهوده وتتوارى قدرته وإرادته وراء إرادة وقدرة خالقه.فإذا عظمت المعرفة بالله ذهبت آثارالعبد وانمحت رسومه وامتحقت نفسه.38 فيكون بمقدارمايعرف من ربه إنكاره لنفسه؛فالصوفي المحب في مقام الفناء موجود مفقود،فهوموجودبمقدارمايستغرق في شهوده وفنائه في الحق ومفقود بمقدارماييقى في شعوره بإنيته.

ومن هنا كانت معاناة الحلاج في قوله:-

بيني وبينك إنيي ينازعني \ فارفع بفضلك إنيي من البين39

تعكس الهاجس التواصلي المسيطرعلى الذات المُحبة،هاجس المسافة والقُرب مع المحبوب "القريب البعيد بلا مسافة" فتتوق للقرب منه من خلال عناء المجاهدة للذات الصوفية القلقة بين ثنائيات لانهائية من الفناء والبقاء والمحووالإثبات في سفر دائم في مسافات الشوق والتوترمن أجل الكمال.

وتعكس أبيات ابن عربي هذه المعاناة والتوق إلى الوصول مما يعني أن التجربة الذوقية في باطنها تموج بالتوترالمتلبس بالشوق في مدارج الوجد والشعوربالإنتشاء بالشهود في قوله:-

تارة يدنيني من مواقف قربه فيؤنسني \ وتارة يحتجب بحجاب عزته فيوحشني

وتارة يناجيني بمناجاة لطفه فيطربني \ وتارة يواصلني بكاسات حبه فيسكرني40

والصوفي مدركٌ لحقيقة عدم تحقق الوحدة الحقيقية،وأنها تبقى مجرد إحساس بها يملأ القلب لارتباطه بالواقع الماديوالإنيةالإنسانية،ولذلكفهويتطلع إلى رفع الإنية وليس الإثنينية بين الإله والعبد،لأنهيقرّبتلك المسافة الفاصلة بين الخالق والعبد.وأن الله تعالى ذاتٌ واحد،قائم بنفسه منفرد عن غيره بقدمه،متوحد عمن سواه بربوبيته لايمازجهشئ ولا يخالطه غيرٌ.41

ومن هنا يظل الفناء حال حب ترتقي فيها الذات الإنسانية المحدودة دون أي فناء حقيقي لهذه الذات في الذات الإلهية المطلقة،فهي حال يتصاعد فيها الوجد عند الصوفي بتطور شعوره فلا يشعرإلا بالله ولا يشهد سواه،حيث غلبة شهود القلب بمحبوبه حتى يفنى به باستغراقه في فنائه،فيشهده ذوقاً

بأنواراليقين في قلبه في توحيد شهودي للقلب اصطلح الصوفية على تسميته ب"وحدة الشهود"،وقد عرّف الصوفية الشهود بأنه:الحضوروالرؤية الحق بالحق.42

حيث يرى العبد نفسه وجميع الموجودات قائمة بالحق؛فلا يشهد في وحدة شهوده غيرذات واحدة فنيت فيها كل الذوات هي ذات الله ،وإن كان العشاق قد فنوا في عشقهم.غيرأن المحبين مختلفون لكونهم تعشّقوا بكون وإنا تعشقنا بعين،فإن الله ماهيّم هؤلاء ولا ابتلاهم بحب أمثالهم إلا ليقيم بهم الحجج على من ادعى محبته ولم يهم في حبه هيمان،فأحرى من يزعم أنه يحب من هو سمعه وبصره ومن يتقرب أكثرمن تقربه ضعفاً.43

ومن خلال وحدة الشهود يتجلى تطورمفهوم التوحيد من المستوى العقائدي إلى المستوى الوجداني،فيصبح التوحيد بلونه الصوفي ثمرة إدراك وجداني ذوقي يفضي بالصوفي إلىترك إرادته لإرادة محبوبه،من خلال رحلة معراجه الروحي بتوقها ومدها وجزرها لترسوبالمحب في ميناء التسليم الكامل،كثمرة للحب لتلك الذات الصوفية المسكونة بالشوق إلى المطلق واكتشاف اللامتناهي،لكنها سواء كانت في مقام الفناء"المحو"أومقام"البقاء" الإثبات ،فإنها تظل مخلصة لمحبوبها"للحقيقةالإلهية"نتيجة للحب ووفاء لميثاق الحب بحسب القراءة الصوفية للآية"وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أنّا كنّا عن هذاغافلين\ الأعراف 172 .

<u>مدارج الفناء في الحب عند ابن عربي:-</u>

-فناء الإرادة:بأنلايريد ولا يحب إلا مايوافق إرادة الخالق.44 أي الفناء عن الأفعال أو عن إرادة السوي.

-الفناء عن شهود السوي:وهو فناء عن شهودالخلق بشهود الحق.45أي بالفناء عن رؤية الأغيارفغاية الصوفي فنائه عن شهودهم وحبهم.

-الفناء عن وجود السوي:بفناء الصوفي عن شهود فنائه بغلبة شهود القلب.46

ويأتي تقسيم ابن عربي للفناء عبر هذه المدارج التي يرتقي فيها الصوفي والتي يصعب اختزالها في محطات محددة لأنها في حقيقتها سفرٌ في معان يتحقق بها الصوفي في مستويات التطهيرالروحي والتحقق بالقرب في وحدة شهود،في جوهره هو قرب معرفة ومحبة ،من خلال سفرمتحرر من حدود

الزمن،لينفتح على زمن الذات المتعالي ،هو زمن اللحظة الصوفية المكثفة الحضور،يصفها الطوسي بأنها" الوقت المسرمد"،لأن الحال الذي بينه وبين الله لايتغيرفي جميع أوقاته."47 فهي لحظة التحقق بالمعية مع الله في عمقها الشعوري.

وباعتبارالفناء حالة ذوقية تتجلى فيها عاطفة الصوفي في أسمى معانيها؛ترتبط عند ابن عربي بوحدة الوجود من جانبها النظري،كما ترتبط بوحدة الشهود من جانبها العملي.وبهذا كان حال الفناء حالة روحانية بسموها وتجلياتها؛وفي إطارها الفكري الفلسفي انطلقت من أساس بأنه لاوجود حقيقي إلا لله،جوهره توحيد قلبي شهودي،وباعثه الحب وثمرته التسليم للحق.

فتجلّت في تجربة الحب الصوفي قيمة الحب الذي كان موضوعاً وغايةً،كرّس في بُعده الوجداني والإنساني للإنفتاح والتسامح والحوارالإنساني.كما تجلّت قيمة الإنسان في حرص الصوفي على السمو والإرتقاء في مراتب الروحانية ومستويات الحب.

<u>وحدة الأديان عند ابن عربي:-</u>

ينتهي ابن عربي إلى ماانتهى إليه الحلاج وعمربن الفارض وجلال الدين الرومي في تجربة الحب الصوفي،بالقول بوحدة الأديان واعتبارالديانات السماوية والقرآن والإنجيل والتوراة تنبع من معين مشترك،لأنها تنشد عبادة الذات الإلهية، ولذلك فهي متفقة في جوهرها مادام باعثها جميعها الحب لله تعالى.

فالحب الذي تتأسس عليه علاقة العبد بخالقه هو نفسه الذي يجمع بين البشر،وهوأيضا باعث الموجودات التي لم تكن إلا بعد الحب من جهة الخالق ،وبالتالي كان الحب أساس الوحدة في الوجود.

ويسمو ابن عربي في مراتب الحب والكمال حتى أصبح قلبه متسعاً لكل صورة

لقد صارقلبي قابلاً كلّ صورة \ فمرعى لغزلان ودير لراهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف \ وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنّى توجهت \ ركائبه فالحب ديني وإيماني48

فإذا كان المعبود في كل زمان،وكل حال هوالواحد سبحانه فما إخلاص التوجه القلبي إليه بأية كيفية ولغة إلا رباط توحيد معه،وحب له يتجاوز جميع الإختلافات الثقافية والفكرية بين الناس ليجمعهم برباط الحب.

وبالعودة إلى الخطاب القرآني نجد تأكيداً على حقيقة وحدة الرسالات السماوية في مصدرها،وأنماجاء به الأنبياء هو حقيقة واحدة واعترافاً بالنبوات السابقة."قُل آمنّا بالله وماأُنزل علينا وماأُنزل على ابراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وماأُوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون.\آل عمران84"

ولأن ابن عربي يرى في الموجودات مظهراً للحق ومجلى لإرادته وجماله،فهويرفضالتكفيرحتى لمن يتجه لمعبودات أخرى تختلف عن معبوده.فهم سموه إلهاً مع إسمه الخاص حجرأوشجرأوحيوان أو إنسان أو كوكب،فهذا اسم الشخص فيه والألوهية مرتبة تخيل العابد له أنها مرتبة معبودة،وهي على الحقيقة مجلى الحق لبصرهذا العابد المعتكف على هذا المعبود في هذا المجلى المختص.49 فكل من يعتقد بعقيدة دينية أو وثنية بحسب نظرية ابن عربي في دين الحب أو وحدة الأديان ،إنما هو يعبد الله في الحقيقة لأن هذه المعبودات هي مظاهريتجلى فيها الحق في نظرمنيعبدونها،فهم يعبدون الله بحسب تصورهم وإدراكهم له في هذه الموجودات التي يعبدونها.

وفي قراءة ابن عربي للتثليث المسيحي يروم من خلالها إلى إرجاعها لأصل التوحيد للحق تعالى،ليؤكد على حقائق التوحيد في أصل العقيدة.في قوله:-"العدد لايولد لكثرة في العين كما تقول النصارى في الأقانيمالثلاثة،ثم تقول الإله واحد،كما تقول باسم الرب والإبن والروح القدس،إلهواحد،وفي شرعنا المنزّل علينا بقوله تعالى:"قُل أُدعوا الله أوأدعوا الرحمن أيا ماتدعوا \الإسراء110 " فوجدناه يدور على ثلاثة أسماء إليها تضاف القصص والأمورالمذكورتبعدها،وهي الله والرب والرحمن،والمعلوم أن المراد إله واحد،وباقي الأسماء أجريت مجرى النعوت لهذه الأسماء ولاسيما اسم الله."50

وبهذا يؤسس ابن عربي لنظريته في وحدة الأديان منطلقاً من قاعدة التوحيد وأصل الحب ويؤصّل لنظريته استناداً على القرآن الكريم "والمؤمنون كلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرّق بين أحد من رسله \ البقرة285 "،معتبراً أن الإسلام يكمّل بل ويتضمن النصرانية واليهودية في بُعدها التوحيدي العقائدي.ومن هنا ينطلق إلى الجانب الفقهي ليفتي بجواز إخراج زكاة الفطرعن اليهودي والنصراني،ويعتبرأن:نيّةالخيرفي العمل فيمن ليس من جنسك يعود فضله عليك،وأنا مؤمن بما هو

اليهودي والنصراني به مؤمن مما هوحق في دينه،وفي كتابه من حيث إيماني بكتابي،فإن كتابي يتضمن كتابه،وديني يتضمن دينه،فدينه وكتابه مندرج في كتابي وديني.51

وابن عربي إنطلاقاً من نظريته يرى في الدين دينان،دينٌ عند الخَلق وهوماجاء بالشرع والأحكام واعتقد به الناس؛وهويدين بالإله الذي تصوره الناس في معتقداتهم في مختلف أنواع الصور،فكل هذه الأديان هي من خَلق الإنسان الذي يجد فيها سعادته.أما الدين عند الله :فهوالذي اصطفاه الله وأعطاه الرتبة العليا على دين الخَلق.52 حيث الإله معبود مطلق ،لاتحده صورة ولاعقل يقيده،وبالتالي فهو دين"وحدةالوجود".فالمحبوب على الحقيقة في كل مايُحب،والمعبود على الحقيقة في كل مايُعبد.53

فالدين كله واحد جوهره التوحيد،فمنالنوروالظلمة،ثم من التثليث والتعديد،ومن التنزيه والتشبيه،وعبادة الأصنام والأوثان والشمس والعجل الذي عبده بنواسرائيل،فكلها مجلى لحقيقة واحدة هي الله في نظرابن عربي فيقول:-

عقد الخلائق في الإله عقائد \ وأنا أعتقد جميع مااعتقدوه.54

ويرى بأننا ينبغي ألا نكفر بما يختلف عنّا من أديان،فيحذرأتباعه قائلاً:-"فإياك أن تتقيد بعقل مخصوص،وتكفربماسواه،فيفوتكخيركثير،بل يفوتك العلم بالأمرعلىماهوعليه،فكن في نفسك القابل لصورالمعتقداتكلها،فإن الله أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد،فالكلمصيب،وكل مصيب مأجور،وكلمأجورسعيد،وكل سعيد مرضي عنه."55

فينطلق ابن عربي من نظريته في وحدة الوجود المتأسسة على أنه لاوجود إلا لله،ليؤكد على أن الدين كلٌ مشترك،مادام الدين كله لله فالأديان في حقيقتها تربطها وحدة التوجه إلى حقيقة واحدة لااختلاف فيها.

ومن منطلق مذهبه في وحدة الأديان ينفي وقوع العذاب على البشر يوم القيامة في قوله:-

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده \ ومالوعيد الحق عين تُعاين

وإن دخلوا دارالشقاء فإنهم \ على لذّة فيها نعيمٌ مباينُ

نعيم جنان الخلد فالأمرواحد \ وبينهما عند التجلي تباينُ

يُسمى عذاباً من عذوبة طعمه \ وذاك له كالقشروالقشرصائن.56

وذلك لأنهم كلهم لم يعبدوا إلاالله من حيث أدركوه وتصوروه، واتجهوا إلى حقيقة واحدة . فالذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة معذورون ،فلما بلغهم كلامك حملوه على ماظهرلهم من كلامك،فلا تلمهم على ذلك لأنهم فيه على ماعلموا من كلامك؛فكان شركهم عين التوحيد،فهم كمثل المجتهد الذي اجتهد وأخطأ فله أجرالاجتهاد.57وإن أُدخلوا جهنم في رأي ابن عربي ستكون لهم نعيماً.فقد حقّت الكلمة أنهم عماد تلك الدار"جهنم" فجعل الحكم للرحمة التي وسعت كل شئ،فأعطاهم في جهنم نعم المحرورالمقرور ،فتبقى جهنم على صورتها ذات حرورزمهرير ،ويبقى أهلها متنعمين فيها بحرورها وزمهريرها.58فما دام الكل يعبد حقيقة واحدة فمن هنا يكون الجزاء هو النعيم سواء في الجنة أوالنار.

<u>الخلاصة:-</u>

من خلال تجربة الصوفية بما تنطوي عليه من روحانية،نصل إلى حقيقة أن محورالتوجه إلى الله تعالى هو"توحيدخالص"بتصفية القلب من نوازع الأنانية،ليصل إلى التسليم المطلق للإرادة الإلهية،عبرمقامات تعكس توق الصوفي إلى المطلق واللانهائي،فيكرس حياته لإرضاء الله تعالى والتقرب إليه.

ويمكن القول أن نظرية وحدة الأديان عند ابن عربي التي تتأسس في جوهرها على التوحيد،ولهذا فدين الحب عنده هو دين الفطرة حيث يتجه الإنسان بقلبه إلى عبادة الله.لأن الحق يتجلى في موجوداته،كما أن البشريتجهون إليه بفطرتهم في معتقداتهم وإن اختلفت لكنها تنتهي إلى حقيقة واحدة.فمادام الكل يعبدون الإله الواحد المتجلي في صورهم وفي صورجميعالمعبودات،إذن فلا معبود في الحقيقة إلا الله.

فوحدة الأديان تنبثق من وحدة الحب ووحدة الحقيقة وبالتالي من نظريته في "وحدة الوجود" التي ينطلق منها وينتهي إليها،فينتقل من مقام إلى آخر في حركة إنسيابية تتماهى مع إنسيابية حركية الوجود المبتدئ بالحب والمنتهي إليه،ليعكس علاقة الوجود بالحب وتلازمهما الذاتي،كما يعكس توق العبد المحب للمعبود لامن أجل الذوبان والإتحاد به وإنما من أجل معرفته وإخلاص الطاعة والمحبة له.

المصادر :-

1-القشيري،الرسالة القشيرية،مطبعة الحلبي،القاهرة،ج1 ،1959 م،ص135

2-الزبيدي،تاج العروس،بيروت،ج2 ،د.ت،ص214

3-الغزالي،إحياء علوم الدين،دارالمعرفة،بيروت،ج1 ،د.ت،1987 م

4-مصطفى كامل الشيبي،الصلة بين التصوف والتشيع،دارالأندلس،بيروت،ج1 ،1982 م،ص318

5-عبدالرحمن بدوي،رابعة شهيدة العشق الإلهي،وكالة المطبوعات،الكويت،1978 م،ص126

6-حسين مروة،النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية،دارالفارابي،بيروت،ج2 ،ص182

7-المكي،قوت القلوب،دارصادر ،بيروت،2004 م،ص114

8-الجنيد،رسائل الجنيد،بابالتوحيد،تحقيق:أحمدالزبيدي،دارالكتب العلمية،بيروت،ط1 ،2006 م،ص252

9-الجنيد،المصدرالسابق،باب التوحيد،ص207

10-البسطامي،المجموعة الصوفية الكاملة،تحقيق:قاسم عباس،دارالمدى،دمشق،2004 م،ص79

11-البسطامي،المصدرالسابق،ص106

12-البسطامي،المصدرالسابق،ص285

13-البسطامي،المصدرالسابق،ص54

14-عمربن الفارض،ديوان ابن الفارض،داربيروت للطباعة والنشر ،1983 م،ص64

15-عمربن الفارض،المصدرالسابق،ص93

16-البسطامي،المصدرالسابق،ص116

17-السهروردي،ديوان السهروردي،تقديم:مصطفىكامل الشيبي،المكتبةالعصرية،بغداد، 2004 م ،ص78

18-عمربن الفارض،المصدرالسابق،ص65

19-السهروردي،المصدرالسابق،ص94

20-ابن قيم الجوزية،مدارجالسالكين،تحقيق:محمدالفقي،دارالكتاب العربي،بيروت،ج1 ،د.ت،ص193

21-ابن عربي،الفتوحاتالمكية،الهيئة المصرية للكتاب،القاهرة،ج1 ،2006 م،ص233

22-ابن عربي،المصدرالسابق،ج2 ،ص108

23-ابن عربي،المصدرالسابق،ج1 ،ص327

24-ابن عربي،المصدرالسابق،ج2 ،ص109

25-ابن عربي،المصدرالسابق،ج1 ،ص339
26-ابن عربي،المصدرالسابق،ج1 ،ص339
27-ابن عربي،المصدرالسابق،ج1 ،ص340
28-ابن عربي،المصدرالسابق،ج1 ،ص341
29-ابن عربي،فصوصالحكم،دارالكتاب العربي،بيروت،1980 م،ص76
30-ابن عربي،المرجع السابق،ص182
31-ابن عربي،رسائل ابن عربي،داراحياء التراث العربي،بيروت،د.ت،ص498
32-أبوبكرالسيوطي،الدررالمنتشرة في الأحاديث المشتهرة،دارالفكر ،بيروت،1995 م،ص257
33-ابن عربي،فصوص الحكم،ص582
34-الجنيد،المصدرالسابق،كتاب الفناء،ص328
35-ابن عربي،الفتوحات المكية،ج1 ،ص320
36-القشيري،المصدرالسابق،ج1 ،ص179
37-ابن عربي،المصدرالسابق،ج1 ،ص319
38-الجنيد،المصدرالسابق،باب التوحيد،ص252
39-الحلاج،ديوان الحلاج،تحقيق:مصطفىالشيبي،منشورات الجمل،بغداد،ط3 ،2007م
ص365
40-ابن عربي،الفتوحات المكية،ص321
41-الحلاج،أخبارالحلاج والطواسين ومجموعة من شعره،تقديم:عبدالحفيظمدني،مكتبة
الجندي،القاهرة،ط2 ،1970 م،ص47
42-الجنيد،المصدرالسابق،كتاب الفناء،ص326
43-ابن عربي،المصدرالسابق،ج2 ،ص327
44-ابن عربي،المصدرالسابق،ج2 ،ص328
45-ابن عربي،المصدرالسابق والصفحة.
46-ابن عربي،المصدرالسابق،ج2 ،ص329
47-الطوسي،اللمع،تحقيق:عبدالحليم محمود،دارالكتب الحديثة،القاهرة،1960 م،ص357
48-ابن عربي،فصوص الحكم،ص113
49-ابن عربي،رسائل ابن عربي،ص3

50-ابن عربي،الذخائروالأعلاق في شرح ترجمان الأشواق ، داراإحياء الكتب العربية، بيروت،1312 ،ص53

51-ابن عربي،الفتوحات المكية،ج1 ،ص689

52-ابن عربي،فصوص الحكم،ج1 ،ص94

53-ابن عربي،المصدرالسابق،ج1 ،ص192

54-ابن عربي،المصدرالسابق،ج2 ،ص289

55-ابن عربي،المصدرالسابق،ج2 ،ص113

56-ابن عربي،المصدرالسابق،ج2 ،ص94

57-ابن عربي،الفتوحات المكية،ج1 ،208

58-ابن عربي،المصدرالسابق،ج1 ،ص256